



مهرجان القراءة للجميع



المختار من شعر

عبد الوهاب البياتى

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

المختار من شعر

عبد الوهاب البياتي

« لوحة الغلاف »

اسم العمل الفنى : بورترية لسيدة اسبانية التقنية: زيت على توال

مقاس العمل: ٩ . ٧٠×٥ . ١٠٠سم

محمود سعيد (١٨٩٧ - ١٩٦٤)

رائد التصوير الأول فى الحركة الفنية المصرية الحديثة التى بدأت أول القرن العشرين . مصور حاذق لايهتم كثيرا بالنسيج المساحى ، بقدر ما تعنيه الستاره الناعمه الضوئية للُون فى العنصر المرسوم ، ذا فردانية وعذوبة وعافية ، جعلته متقبلا على أوسع نطاق بين النخبة المثقفة ، وعامة المتذوقين والمشاهدين على السواء .

وقد طرق محمود سعيد كافة الموضوعات دون أن يخالجة التردد ، فقدم عارياته من بين أنماط المصريات البلديات ذوات الشفاه الغليظة ، والخدود المستديرة ، والصدر الملئ ، والأفخاذ المكتنزه ، بنفس القدر الذى دعاه إلى رسم المراكب ذات الأشرعة على نهر النيل ، وكذلك جماعات المصلين الذين أسدل فوق ظهورهم ستائر الخشوع الصوفى حين اختار للوحته الشهيرة تلك ضوءها الدافى المعتم . وسوف يظل من الصعب على المدقق الواعى أن يرى محمود سعيد باعتباره فنانا وصفيا تقليدياً ، إذ أن تصاويره أمكن لها أن تجتاز الزمن حين فجرت القراءات الجديدة المتوالية ينابيعاً فى الحداثة جعلتها تحتل مكانا بارزا لايمحى فى حركة الفن المصرى الحديث جميعه.

أحمد فؤاد سليم

المختار من شعر
عبد الوهاب البياتي

إعداد وتحرير: د. سمير سرحان
د. محمد عناني



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الروائع)

المختار من شعر
عبد الوهاب البياتي
إعداد وتحرير:
د. سمير سرحان
د. محمد عناني

الغلاف
والإشراف الفني:
الفنان : محمود الهندي

المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة» تلك الصيحة التى أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» فى مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة» والذى فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذى كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفى مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافى الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التى أصدرت فى سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً فى حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

تصدير

رحل عبد الوهاب البياتى عن دنيانا وأصبح فى ضمير التاريخ ، علما من أعلام الشعر العربى الحديث - سمّه إن شئت شعر التفعيلة أو الشعر المرسل - وإن كان ، كما تبين هذه المجموعة ، من المجددين فى شكل القصيدة العربية كلها لا فى الوزن والقـافية فحسب ، وسوف يجد القارئ فى هذه المختارات المرتّبة فى معظمها (أى باستثناء القصائد الأولى فقط) وفق التسلسل الزمنى لكتابتها ، خط تطور واضح فى الشكل والصور والأفكار ، وهى تمثل فى رأينا أهم اتجاهاته الفنية والفكرية على امتداد ما يربو على ثلاثين عامـاً ، تحوّل فيهـا وجه الشعر العربى تـحولاً لم يعد أحد يجادل فيه .

ويعتبـر عبد الوهاب البياتى - مع صـلاح عبد الصبور وأحمـد عبد المعطى حـجازى وبدر شـاكر السيـاب ونازك الملائكة - من رواد شـعر التفعيلة ، وإن كـان ذلك الوصف الذى أطلق على هذه الموجه الأولى لا يوفيها حقـها كاملاً ، فالتجديد الذى أتوا به لم يقتـصر على هجر الشعر العمودى وإن كانوا جميعاً قـد كتبوه ، بل تعدى ذلك إلى تعبيد الطريق

للجيل التالى من الموهوبين الذين طوروا شكل القصيدة وأسلوب معالجة الموضوعات بل والموضوعات نفسها حتى وجدنا أنفسنا ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين على أعتاب شكل ثابت للقصيدة الجديدة، يندر أن تتوحد قوافيها ، ويندر أن تتسم بانتظام الإيقاع وإن انتظم وزنها ، ويندر أن تعالج «أغراض» الشعر الراسخة القديمة ، وأصبح ثبات الشكل نفسه سمة مميزة وجد فيها البعض قيدا فحاول أن يكره ، فأغرق بعضهم فى التجديد جاعلاً الانتظام عدوه الأول ، فأسماه الرتابة ، وجاعلاً القافية عدوه الثانى فأدخل فيها تنويعات كثيرة ، وإن كان الاتجاه الوجدانى ما يزال الغالب على هذه المحاولات كلها ، مع ما يمكن أن نسميه وحدة القصيدة (شعوريا) وتماسكها (من حيث المبنى) وجدة الصور (التى بلغت عند البعض حدوداً مبالغا فيها من التغريب) .

وسوف يلحظ قارئ هذه المجموعة دون شك إشارات إلى أحداث السنوات الحافلة التى كتبت فيها القصائد ، وسيلمح بذور استلهام التراث والثورة على بعض جوانبه ، مع نغمات مستقاة من رومانسية ناجى وطه ، وسوف يجد كيف تطور البياتى على امتداد رحلته الشعرية حتى كاد أن يلتقى مع رواد « الموجة الثانية » من الشعراء المحدثين ، فهو يثور فى سنوات نضجة لا على وحدة القافية فقط بل على وحدة الوزن ، ويكفى أن ننظر إلى قصيدة أطلق عليها عنوان « إليها » فى هذه المجموعة لكى نرى كيف يتحول من البحر الطويل إلى الرجز ثم إلى النثر إلى الخبث

ثم إلى النثر ! ويكفى أن ننظر إلى تحوله من القصيدة الطويلة إلى القصيدة ، حتى يصل فى رحلته إلى الإبجرام ، وهو الفن الشعرى الذى يندر أن يطرقه حتى كتّاب ما يسمى بالشعر المنثور (وما أبدعه عز الدين إسماعيل فى أحدث ديوان له **دمعة للأسى .. دمعة للفرح**) والواقع أن التنوع فى الشكل الذى يلحظه قارئ ديوان البياتى لا يجاريه التنوع فى المعجم الشعرى له ، فهو من البداية إلى النهاية ملتزم برؤى تفرض عليه أطرًا من المادة الشعرية التى أصبحت تنتمى - مع بعض أشعار أصحاب «الموجة الأولى» - للتاريخ . ولقد حاولنا تمثيل ذلك التنوع ، وتمثيل أهم مشاغله الفكرية والوجدانية ، واثقين من أن هذه المجموعة سوف تظل نموذجا حياً لشعر ذلك الشاعر المبدع . .

والله من وراء القصد ،

مكتبة الأسرة

١- إلى إخوانى الشعراء

يا إِخواتىِ : الحياة

أغنية جميلة ، وأجمل الأشياء :

ما هو آت ، ما وراء الليل من ضياء

ومن مسرات ومن هناء .

وأجمل الغناء :

ما كان من قلوبكم ينبغ من أعماق

شعوبنا الراسخة الأعراق

وأرضنا الطيبة الخضراء .

فلتلّغوا الظلامْ

وصانعى المأساة والآلام

ولتمسحوا الدموعْ

وتوقدوا الشموع

فى وحشة الطريق للإِنسان

*

يا إِخواتى : الحياة

أغنية جميلة ، مطلعها الدموع والأحزان

*

٢- أغنية من العراق إلى جمال عبد الناصر .

باسمك فى قريتنا النائية الخضراء

فى العراق

فى وطن المشانق السوداء

والليل والسجون

والموت والضياع

سمعت أبناء أخى ، باسمك يلهجون

فدى لك العيون

يا واهب الربيع للقفار

ومنزل الأمطار فى قريتنا الخضراء

باسمك يا جمال

سمعت أبناء أخى القتيل

- فى رصاص

عصابة الأذناب

فى العراق -

سمعتهم باسمك يلهجون

فدى لك العيون

يا صانع السلام والرجال

يا جمال

وواهب العروبة الضياء

ومنزل الأمطار فى صحراء

حياتنا الجرداء ، يا رجاء

عالمنا الجديد

وفجرنا المعذب الوليد

*

٣- كلمات مجنحة إلى الكتاب المصريين

حين تنمو الكلمات الطيبة

فى قلوب البسطاء

كالبكاء

تشرق الشمس على آسوارك المنتحبة

وتطير الأغنيات

كالسنونو فوق أرض المعركة

يا قميص الدم

يا ثورتنا المشتعلة

يا قناديل حياة مقبلة

يا شعارات رفاقى الظافرة

لك قلب القاهرة

لك - مذ أيقظه الحب - يغنى

للملايين الحزينة

وهى تصحو - بغتة - من نومها

وتروّى أرضنا فى دمها

أرض « زهران » ومبكى « أم صابر»

ووشاحاً أحمراً للنيل ملقى فوق شاعر

حطمت قيثاره بالأمس أيدى الغجر

ورياح الضجر

يوم كان الفن يستجدى على أبواب « كسرى »

خجلاً عريان ، لا يملك أمرا

غير أن يبكى ويبكى

بين ماخور وملك

*

لك يا أرض الأسى والمعركة

والهوى والكلمات الطيبة

ولأبنائك حبى

١٩٥٦

*

٤- بورسعيد

على رخام الدهر ، بورسعيد

قصيد مكتوبة بالدم والحديد

قصيدة عصماء

قصيدة حمراء

تنزف من حروفها الدماء

تهدر فى رويِّها المنتصر الجبار

صيحات فجر الثار

تطل من أبياتها بنادق الأنصار

وأعين الصغار

*

على جبين الشمس ، بورسعيد

مدينة شامخة الأسوار

شامخة كالنار

كالإِعصار

فى أوجه اللصوص

لصوص أوروبا من التجار

من مجرمى الحروب

وشاربى الدماء

عبر جدار الموت ، بورسعيد

صامدة كالبحر

لا تنام

يخوض فى ساحاتها السلام

معركة الحياة

تحرسه بنادق الأنصار

وأعين الصغار

*

٥- قصيدتان إلى صلاح جاهين

-١-

الصيف الأخير

ألف رؤيا عبرتْ
فى جوع صحرائك خبز الآخرين
ذهب الموتى وعاد الميِّتون
لا تُجرِّحْ وجنة الحرف الحزين
إنها الشمس ، وها أنت مع الشمس وحيدٌ
فى سهوب الآخرين
لوعةُ الأمسِ
وأشعارك
أنهار الصّبابات ، بكاء العائدين
نُهبتْ
حتى صباح الياسمينْ
ديس بالأقدام

داستهُ خيول الفاتحين

قطرةُ الماءِ

سواقى الليلِ

نهر الهائمين

جَفّ

فالصحراء قبرٌ ، لا تُجرِّحْ وجنة الحرف الحزين

إنه الصبّار والصخرْ صمت الآخرين

إنه الباب الذى يحرسه التنّينُ فى صيف السنين

عطشى نهر الحنين

وينابيع اليقين

لا تدقّ الباب ، فالحرف ضنين

هارب أنت ، وها أنت سجين

تذرع الصمت ، تنادى الميّتين

كلهم ماتوا !

سهوب الصيف غصّتْ

بقبور الميتين

آه لا تنزع قناع الفارس الميّتِ

ها أنت مع الشمس حيدُ

فى سهوب الآخرين

-٢-

الجرح

كلما عُدتَ من المنفى

التقت عيناك بالجرح القديم

قبّة الليل البهيم

وقناديل الطفولة

والفراشات وَأعراس النجوم

وطواحين الهواء

تملأ الليل بكاء

كلما عدتَ رأيت الجرح فى نفس الرسوم

صيحة الديك ونيران القبيله

ضوأت وانطفأت فهْى رماد فى الأصيل

ومناديل رحيل

عبر باب المستحيل

كلما عدت رأيت الجرح فى عين الدليل

إنه الجرح القديم

أبداً تحمله فى ليل أوروبا البهيم

إنه الجرح الذى حطّم قلب السندباد

إنه نفس الرماد

يملأ الكأس التى تشرب منها

آه حدثنى عن البحر وعنها

أيها المنفىُّ حدثنى ، ولا تطفىء شموعك

آن أن تنشر فى الفجر قلوعك

آن أن تحرق جرحك

آن أن تغرز رمحك

فى فم التنين ، فى الجرح القديم

*

٦- بكائية إلى صلاح جاهين

كانت أعواماً جاحدةً

فى ليل شتاء العرب القاسي

كانت أعواماً جوفاء

فيها مُسِحتْ ذكراةُ الإنسانِ

ومات الشعراءْ

وامتُهن الفكرُ

وديست أحلام الفقراء

فيها سُمِّمَت الآبار

وطفت جيف الكتاب المأجورينَ

وصاروا وعاظًا فى الصحف الصفراء

فيها انهزم الثوار

صاروا أيتاماً ورعايا

فى زمن البترول / الشيطان

فى ليل شتاء العرب القاسى هذا

كان صلاح

يذوي فى صمتٍ ويموت ببطءٍ

ويجرجر أذيال الغربةِ

فى دائرة الضوءِ

ويُخفي خيبته فى ضحكة طفلٍ

فاجأه موتُ النورِ

وبرد السنواتْ

فبكى مثل الرجل / الطفل المخذول ومات

٢٧ - ٥ - ١٩٨٦

*

٧- برعم

أخاف على الورد من جارحيه
ويجرحني في الهوى برعم
ويزكو فيلثمه السارقون
ويحرم عن لثمه المغرم
وتجرحه خائنات العيون
وعيني له أبدا بلسم

*

وأبكي وأبكي لعل دموعي
إذا لامست جرحه يبسم
وأحنو عليه كأمّ رؤوم
وأكتم حبّي فلا يعلم
وينفر مني كظبي ودبع
أحاق به صائد مجرم

وإنى عليه ومنه أخاف

فأقتل فى الصمت ما أكتم

وأطوى إليه صحارى الحياة

يمزقنى سرّى المبهم

*

على طلل الذات منى بقايا

تشد الجراح ولا تُهزم

إذا أسر العاشقون الهوى

فإنى إلى الحب أستسلم

*

وأقطع ليلى أنادى النجوم

وليلى من قلبه أرحم

أُنادى فتغمرنى الذكريات

ويغمرنى موجها المظلم

وتعصف بى عاصفت الرّدى

فأرنو إليه وأسترحم

*

وإبكـى وأبكـى لعـل دمـــوعى

إذا لامـست جـرحـه يبـسم

وأحنـو علـيـــه كـــأم رؤوم

وأكـــتـم حــبى فـــلا يعـلم

*

٨- لقـــاء

عيناك باسمتان مثل بنفسج يتفتح

فى الغاب . . . فى الليل العميق

فى معبد الحب السحيق

حيث السعادة لا تنام

إِلاَّ على سرر الغرام

حيث الأزاهر لا تفيق

إِلاَّ على همس الطريق

عبرى يبللها الندى

حيرى أيقظها الردى ؟ . . .

فى صحوة الفجر الجميل

من غصنها النامى البليل

*

إطراقة حيرى يظللها لقاء عابر

كلقاء أبناء السبيل

فى ظلمة الليل الطويل

يتسكعون بلا رجاء . . .

ويضربون بلا عزاء

فى مهْمه خاوٍ رهيب

فى عالم الصمت الكئيب

حيث العواطف تستحيل

ضربا من اللغو الثقيل

والدمع والظل الظليل

ما الدمع ؟

هل يروى الغليل ؟

شفتاك راجفتان مثل خواطرى

إذ ترجف

كادت وهمت بالسؤال

وكأنها قالت .

تعال !

الليل يهمس والسكون

والنهر والموج الحنون

وجوارحى النشوى :

تعال !

إنى عشقتك فى الخيال

من قبل كنا أو نكون

من قبل أن تصبو العيون

النهر يهمس والظلال

وكأنها قالت :

تعال !

*

شفتاك ظامئتان مثلى للهوى تتلهف

لكن أنا

من قد أكون ؟

أأصاب أوهامى الجنون ؟ . . .

لا . . .

لن أجيب ولن أعود

وأستجيب إلى الوعود

ماضىّ أغفى واستراح

لا . . .

لن أعود إلى الصباح

لكن سألتك مَن أكون ؟

فهناك غيرى فى الدجون

يهفو إليك . . .

أتسمعين ؟

نجواه

فى الريح الحزين

*

٩- عيونك الخضر

عيونك الخضر التى أترعت

جامى بخمر الألم المبدع

أمواجها ما برحت تلتقى

كأنها الينبوع فى أضلعى

أحسها فى لهفتى ، فى دمى

فى خفقات القلب ، فى أدمعى

كأنها أظلال صفصافة

على مرايا جدول مسرع

ظللت أستدنى على بوحها

خيالك النائى ولمّ أهجع

وهمت كالريح بلا مأمل

من بلقع خاو إلى بلقع

تفجأنى ذكراك مذعورة

وتلتقى عيناك فيها معى

أقول إِن مرت بقايا هوى

حسناؤه ولّت ولم ترجع :

« غداً ! غداً » يا ويلتا من غد

يا ويلتا من غدى المفجع

« غداً » يعد الحب فى عودها

ويرتوى من نبعها بلقعى »

وألتقى بالغد لكن بلا

وعد ولا لقيا ولا منبع

*

عيونك الخضر وإِن أذبلت

وردى فجف العطر فى مربعى

مازلت فى أمواجها برعماً

تلهمنى فى الحب ما لا أعى

كأننى أسطورة فى الهوى

وأنت من أربابها الهجع

هذى قرابينىّ لمَا تزل
في ديرك المهجور لم ترفع
غدى وأمسى بعض أغلالها
وبعض ما جف من الأدمع

*

١٠- غيوم الربيع

يا غـــيـــوم الربيع هذا فـــضـــائى

مـــوحش يسكـــب المـــلال عليـــاً

وغطـاء الظـلام يثـــــقـــل روحى

فـــيـغـــيب الوجـود عن مـقلـتـيـاً

وخـــفـــوق السـكون يرهق حــسى

ويُندّى بهـــمـــســـه مـــســـمـعـــيـاّ

*

يا غـــيـــوم الـربيع هذا فـــؤادى

فى جـحيم الهـدوء للصـمت يشكو

شرب العـاشقون فى الحب خـمرى

ونصـيـبى من خـــمـرة الحب شك

أَلَهُمْ خـــمـــرتى ولـى عـــبـــراتى

ولقلـبى البكا ولـلناس ضـــحك !؟

يا غـــيــوم الـربيع هذا فـــؤادى

فى جـحيم الهـدوء للصـمت يشكو

*

يا غـــيــوم الربيـع هذى دمــوعى

فى دروب العـشاقَ ضـاعت هبـاء !

مـثل نجم فى البـيـد يهـدر ضـوءاً

من ســـمـــاواته إِذا مـــا أضـــاء

أو كـــزهر ذوى وضـــاع شـــذاه

قـــبل أن يَرْثــىَ الربيعَ الـشـتــاء

يا غـــيــوم الربيـع هذى دمـــوعى

فى دروب العـشـاق ضـاعت هبـاء

*

يا غـــيـــوم الربـيع هذا ربيـــعى

الحنين الــمـجـهـول أهرق جـامـه

والفـــراغ الذى يجـوع فـــيـعــوى

ســدّدتْ كـفُّهُ إِلـىَّ ســهــامــه

فأصابت منى ومن كبريائى

وأهالت على الجراح حطامه

يا غيوم الربيع هذا ربيعى

الحنين المجهول أهرق جامه

*

يا غيوم الربيع صبّى دموعاً

فوق صحراء عمْرى المهجوره

أحرقى الشوك والرمال وصونى

زهرات فى صمتها مقبوره

زهرات لو جادها الغيث يوماً

لبكى الروض من حياء زهوره

يا غيوم الربيع صبى دموعا

فوق صحراء عمرى المهجوره

*

١١- أغنية

في البرعم الغافي وفي الهدب المبلل بالدموع

في الصمت في الأحلام في الشفق المخضب في الربيع

روحي تفر - إليك - مني

ثملى يجنحها التمني

وإذا أفقت وأنت عنّي

في معزل أنا بسجني

رجعت إليّ تقول : غنٍّ

مازلت نشوان الخواطر تائهاً

في الوهم أضرب كالفراش الحائر

ماضيٌ يجذبني إليك بلهفة

ويكاد في عينيك يشعل حاضري

ويهز في أعماق روحي صورة

هي سر أحلامي وفرحي خاطري

لولا سناها ما عرفت حقيقتى

ونشيد إِنشادى وكنه مشاعرى

*

حيناً أرى روحاً كروحك فى البهاءِ وفى البريق

فتهيم أحلامى بها وبوجهها الصافى العميق

وما تكاد تغيب عنى

فى ليل أوهامى وظنّى

حتى يعاودنى التمنى

ينتاش ما أبقيت منى

فأصيح من أعماق سجنى

حيناً وآونة أغنى

مازلت أحلم باللقاء ولاينى

روحى يرف لكل طيف عابر

كم يقظة لى فى الهوى بددتها

فى زهد صوفىّ وعفة شاعر

فكأنني أحببت حلماً ظامئاً
وَسَدْتُه وَغَذَوْتُه من خاطري
حتى إذا راجعت أمسي لم أجد
إلا بقايا دمعي المتناثر

*

١٢- وكيف أطير

هبــــوباً هـبــــوباً لعــلى أطيــــر

لعــلىَ أنــسى هــواها الــمـــــرير

لعلــىَ أنسى صـــبـــاح الهـــوى

وخــضــر الـعــيــون وليل القــبــور

لعــلىَ أنســى زمــــانى الشــــقى

ويبـــرح روحى مــكانى الوعـــيــــر

وكـــيـف أطـيـــر وأنت الجـناح

وأنت الخـــفــوق وأنت الغـــدير ؟

وحــبى الســجـيـــن أضــاء الســمــاء

وحــبى المــرير غــرامى الأخــيــر ؟

فــلا تسألى فــى الهوى من أكــون ؟

ولا تسألى فى الهــوى ما المصــير ؟

أأبكى وفــى قـــبــضــــتىً اليــراع

يخيف الظلام ويدمى السطور

وفى شفتىَّ هدير الحياة

وفى مسمعيك بقايا الهدير ؟

*

سأضحك يا ليل حتى أموت

وحتى يموت هواها المرير

*

١٣- من تراها

يا سنا الله بصحراء انتظارى يا هواها
أنت فجر رائع الألوان إن ليلى تناهى
وجراح قبست من لمعة النصل سناها
الليالى السود لم تدرك - وإن طالت - مداها

*

من تراها
أنا لا أعرف ويحى من تراها ؟
همست فى مطلع الفجر وقد ضاع صداها
أيها الفجر الذى ذابت به ، أين أراها ؟
أنا سهران وفى عينى لهيب من جواها
وعلى ثغرى بقايا رشفات من لماها
وبقايا حلم أوغل فى النور وتاها

*

من تراها ؟

أنا لا أعرف ؟ ويحي من تراها ؟

همست في مطلع الفجر وقد ضاع صداها

* * *

أيها الغاب الذي مرت به أين شذاها ؟

ما لأزهارك هل أخفت عن الزهر أساها ؟

التلال الشهل والأنسام تبكي وهواها

صامت يبكي وقد يبكي انتظاري لو رآها

*

١٤- أنا يا رماد

أنا يا رماد بقيّةٌ ... من نارها فَخُذْ البقيّه

هل بعد أن داس الخريـ ... ـف زنابقي تبكي عليّه

وتحور أشواقي دماً ... متوهجاً في أصغريّه

أُسقاها أوهاماً فلا ... أُسقى سوى خمر المنيّه

فأموت كل هنيهة ... وأعود للدنيا الشقيّه

لا خِلٌّ يفهمني ولا ... تُصغي رؤى نفسي إلِيّه

لا شيء إلا واحة ... خضراء في حَلَك العشيّه

الأفق يحجبها فلا ... تبدو سوى عينٌ بكيّه

شرب الرماد دموعها ... فتنهدت تلك البقيّه

*

١٥ـ ظمآن

ظمــــآن لــلألوان والعــطر ... وللغـــرام العــاصف الــمــر

لخـمـرة يصرعنى وهـمهـا ... لغير ما فى الخمر من سكر

إلى أب حـــان وأم لـــهـــا ... أبث همى دون مـــا عــســر

لقـــبلة مـشـــبـــوبة نارها ... تحـرق مـا يلمســه ثغـرى

لمنصت أفـضى له مسـهبـاً ... مـا لسـت أدريه ومـا أدرى

لضـــحكة مـجنـونة أرتمى ... من بعــدها ميـتاً من الذعــر

ظمـآن للرىّ ومـــا حـيلتى ... والجدب عقبى حبى العذرى

سـيزيف قـد كـان لم يزل ... يهمّ بالشـكوى ولا يحـرى

ترمـقــه عن كثبٍ حـســرة ... غوارب الأمـواج فى البـحر

والنجم من عليـائه ساخـراً ... يرمـــقـــه بالنـظر الشـــزر

وهو على صـخـــرته منحنٍ ... تهـوِى به من قـــمـــة الدهر

*

ظمآن لــلموت وما ضـرنى ... إن متّ مطوياً على سرّى ؟

*

١٦- أحلام شاعر

وما ذلك الحالم المنزوى

بصومعة الفكر إلا خيال

يحس صوت الحياة البغيض

يناديه فى قسوة أن تعال

فيمعن فى حلمه ساخراً

بأطيافها الشاحبين الثقال

بمهزلة قيل عنها الشروق !

بأفكوهة قيل عنها الزوال !

*

لياليه فجر ومن صمتها

يحوك الأغانى .. أغانى الغزل

ويحيا على قبل من خيال

ويشمل منها كأشهى القبل

وأحـــداقــه فـى الهــزيـع الأخــيـــر

تــرى مــــا يراه بـضـــــوء الـطفـل

وتخـــتــرق الغــيـب والمنـتـــأى

بـأجنـحـــــة مـن لهــــيب الأمـل

*

وإن رقص الــفـــجـــر بين الـتــــلال

ومـــــرت يداه عــلى الصـــــومـــعـــــة

وهـوّمت الأعـــــين الــســـــاهـرات

علـى وقع أقـــدامك الـمـــوجـــعـــة

ورددت الأرض يـا شــــاعـــــرى

عـــلام الـركــــون لهـــذى الـدعـــة

تـعــــال مع الـريح بـين الـتـــــلال

تعـــال مـع المـــوت والـزوبعـــة

*

تعـــال نُشـــيــــد بـأحـــلامـنا

على شـــاطىء الحب كـــوخـــاً جـمـــيل

نوافذه من دموع الضحى
وأستاره من لهاث الأصيل
وموقده قبلٌ يصطلى
عليها ملاك هوانا النبيل
فننسى الوشاة وما أرجفوا
علينا وننسى التراب الذليل

*

ألا من سبيل ؟ ألا من خدين ؟
يقود خطاى لكوخى البعيد
أأقضى وهذا القطيع البليد
سيدفننى فى ثراه البليد
ويبكى علىّ ببضع سطور
مشوهة كأغانى العبيد
ويسلم فكرى وإبداعه
إلى جدث بارد من جليد
وفى الجزر النائيات التى

تلوذ بهـا آلهـات البـحـر
ويكتنف الليل غـابـاتهـا
ويحجب عنهـا ضـيـاء القـمـر
سـيسـمع ألحـانى الصـائدون
تغنى بهـا الريح بين الشـجـر
فـتـخـشع أبصـارهم هـيبـة
لروح خـفـى أهاج الذكـر

*

وفى احـنـة الحب حـول القليب
وتحت ظلال النخـيـل الحـزين
سـيسـمع أصـداءها العـاكـفـون
على وحـشـة البـيـد والذاهلون
فـتـهـمس «ليلى» إلى «قـيـسـهـا»
ألا فى الهـوى كل شيء يهـون ؟
ويبكى السـراب على شـاعـر
وراء السـراب أطال الحـنـين

*

وفى ظلمات الخريف الكئيب

وحول لهيب الشتاء الطويل

سيقرأ ديوانى الحالمون

وينشد شعرى هزار الحقول

فيهتف فى سره عاشق

ألا ليتنى مثل هذا أقول

وأما التى فى ثلوج الهوى

فتسأل حيرى وماذا تقول !

*

١٧- سارق النار

داروا مع الشمس فانهارت عزائمهم

وعاد أولُّهم ينعى على الثانى

وسارقُ النار لم يبرح كعادته

يُسابقُ الريحَ مع حانٍ إلى حان

لم تزل لعنة الأباءِ تتبعه

وتحجب الأرضَ عن مصباحه القانى

ولم تزل فى السجونِ السودِ رائحةٌ

وفى الملاجىء من تاريخه العانى

مشاعلٌ كلما الطاغوت أطفأها

عادت تضيءُ على أشلاء إنسانِ

عصر البطولات قد ولّى وها أنذا

أعودُ من عالم الموتى بخذلانِ

وحدى احترقتُ ! أنا وحدى ! وكم عبرت

بيَ الشموسُ ولم تحفلْ بأحزانى

إِنى غفرتُ لهمْ

إِنى رثيتُ لهمْ !

إِنى تركت لهمْ

يا ربٍّ أكفانى !

فلتلعب الصدفةُ العمياء لعبتها

فقد بصقت على قيدى وسجّانى

وما علىّ إِذا عادوا بخيبتهم

وعاد أوّلهم ينعى على الثانى

*

١٨- ريح الجنوب

عينُ السجينْ

من قبوهِ الأرضيّ ، للنجم الحزين

من قبوهِ الأرضيّ تضرع - والمصيرُ يروعه - عينُ السجينْ

وشذا الخمائلِ والصخورْ

وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوبْ

بعدَ الغروبْ

تأوى إلى برج المدينة والقوافلُ والدروبْ

الليل أدركها ، وللنجم الحزين

عين السجين

من قبوه الأرضى تضرع ، والمصيرْ

والليل والنجم الحزين على الغديرْ

الريح تطمسه ، وفى القفر الوعيرْ

كنا نسيرْ

كانت قوافلنا بلا نجمٍ ، وقد كنا نسيرْ

ما كانَ لا ، عبثاً يكن
لا ! لن يكونْ
كلماتنا ستدكّ جدرانَ السجونْ
وتضيء للموتى منازلهم وتكتسح الطغاةْ
بحروفها المتوهجات
كلماتنا ! ما كان لا ، عبثاً يكونْ
يا أرضُ ، يا أمّ الجميعِ ، ستهرمينَ ! ولا يكونْ
ما كان ، يا أمّ الجميع ، ستهرمين ! ولا يكونْ
كانت قوافلنا بلا نجم ، وقد كنا نعيد
صلواتنا الخرساء للصبح البعيد
كنا نُعيدْ
صلواتنا ، يا أمّ ، للصبح الجديد
ووراءنا تعوى الكلاب ، ومن بعيد
أرضُ العبيد
كانت تلوح كما نريد
البرجُ فيها مائلٌ ، والأفق تصبغه الدماء
كنا ظِماءْ
حتى نسينا أننا كنا ظماءْ
وعلى رصيف المرفأ المهجور ، كانت غمغماتْ

أطفالنا ونسائنا المتهللات

حتى نسينا أننا كنا عراةْ

يا أمّ ! عاد أتسمعين

نجواهُ فى الريح الحزين

وتفرّ من عين السجين

بعض الدموعْ

وشذا الخمائل والصخورْ

وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوبْ

لبيوتنا تأوى ومن نائى الدروبْ

أصداء قافلة تغنّى ، إنها : ريح الجنوب

وشذا الخمائل . . . إنها : ريح الجنوبْ

يا أمّ ! عاد أتسمعين

وتفرّ من عين السجينْ

بعض الدموعْ

فى الدروبْ

أصداء قافلة تغنى ، إنها : ريح الجنوبْ !

*

١٩- انتظار

صلّى لأجلى !

عبرَ أسوارِ

وطنى الحزين ، الجائعِ ، العارى

وعلى رصيف المرفأ انتظرى

- يا كوكبى السارى

وحديث سمّارى -

قلبى مياهُ البحرِ تحمله

تفاحةً حمرا . . . كتذكارِ

وعبيرُ آذارِ

ورفاقُ أسفارى

يتلمّسون طريقَ عودتهم

ورسائلى وأبى وأزهارى

وكلبُنا الضارى

يعوى ، وعينا شيخِ حارتنا

مصلوبتان على لظى النارِ

وشجيرة الليمون يسرقها

مهما تعالتْ ، صبيةُ الجارِ

. . . وكقُبّرات الصبحِ ، هائمة

والموتِ والثارِ

ستظل أفكارى

تعلو وتعلو عبر أسوارِ

وطنى الحزين ، الجائع ، العارى

وأنا وأطمارى

فى غربةِ الدارِ

وحدى بلا حبٍّ وتذكارِ

*

٢٠- الأسير

يا ملاكى الصغيرْ   هل عرفتَ الألمْ ؟

والبكاءَ المريرْ   والهوى والندمْ !

والطريقَ الأخير   وخبيثَ السأم !

يا ملاكى الصغير   هل عرفتَ الألم ؟

عشبةٌ فى الهجير   لَعَنَتَها الدّيم

باللّظى تستجير   والسرابِ الأصم

فى انتظار المصير   أطرقت ثم لمْ . . .

الضمير الضميرْ   - يا لكَذبِ الرّمم -

زيّفته القيَم

لن تعودَ النسورْ   فاهزأى يا قمم

فالتّرابُ الحقير   عند موتى الذمم

بطلٌ أو صنم

يا ملاكى الصغير   هل عرفتَ الألمْ ؟

« بعد كدّ المسيرْ »   كَمْ تراءتْ حُممْ

لعيون الأسير   في صحارى العدمْ
وخطايا غدير   ورؤىً لم تَنَمْ
وجناحٍ كسير   وبقايا نغم
ليس بعد الظّلَمْ
غيرُ وادٍ وعير   وغبار القِدَمْ
ورمادِ المصيرِ   وفراغٍ ودمْ
وثلوجِ القِممْ
يا ملاكى الصغير   هل عرفتَ الألمْ ؟

*

٢١- السجين المجهول

عبرَ بابِ السجنِ ، عَبرَ الظلماتِ

كوخنا يلمع فى السهل ، وموتى ، والنجومُ

وقبورُ القريةِ البيضاءِ ، والسورُ القديم

وقيودى وهواها

وطواحينُ الهواءِ

وبطاقاتُ البريد :

يا رفاقى فى الطريق

عبر باب السجن ، غنّوا ، يا رفاقى

لم يزل عالمنا يحفل بالخير ، وبالحب العميقِ

يا رفاقى ، والنجومُ

وطنين النحل فى مقبرة القرية ، غنّوا !

والعصافير إلى سَرْوتنا الخضراءِ ما زالت تَحنّ

لم يزل عالمنا أروعَ ممّا

حدّثونا عنه ، ممّا صوّروهُ

فى الأساطير لنا ، أروعَ ممّا صوّروهُ

لم يزل يحفل بالخير ، وبالحب العميق

يا رفاقى فى الطريق

ومسرات ليالينا العميقهْ

والطواحين العتيقهْ

عبر باب الليل ما زالت ، وما زلت بسجنى

سنواتٌ أربعٌ مرت ، ومازلت بسجنى

ورفاقى يحرثون الأرض فى الشرق البعيد

وأنا ما زلتُ فى السجن ، أغنى

وقيودى وهواها

وبطاقات البريدِ

*

٢٢- ذكريات الطفولة

بالأمسِ كُنا ، آهِ من كنا : ومن أمسٍ يكون

نعدو وراء ظلالنا . . . كنا ، ومن أمسٍ يكون

لا نرهب الصمتَ الذى تُضفيه أشباحُ الغروبْ

فوق الحدائقِ والدروب

لا نرهب السورَ الذى من خلفه يأتى الضياءْ

ولربما مات الضياء ولم يَعدْ ونقول : «جاءْ ! »

كنا نقول كما نشاء

حتى النجومْ

كنا نقول بأنها - كانت - عيونْ

للأرض تنظر فى فنون

حتى النجوم

كانت عيون

لا نعرف « الشيءَ الصغيرَ » ولا نُصدّق ما يقالْ

ولا نزال

لا نعرف الشىء الصغير ولا نصدق ما يُقالْ

ولربما كنا نحدّق فى الفراغ ، ولا ننام

وفى الظلام

مأوى العفاريت الضخامْ

كانت مدائننا الجديدة فى الظلام

بمنازل الأموات ، أشبه ، أو قرى

النمل - . . . الجديدة فى الظلام -

كانت مدائننا تقام

وفى الظلام

كنا نُحدّقُ فى الفراغ ، ولا ننام

الا على أصوات عالمنا المقوض ، والعبيدْ

يتسكعون ، ومن جديد

يستقبلون - هناك - طاغيةً جديد

وخيولنا الخشبية العرجاء ، كنا في الجدارْ

بالفحم نرسمها ، ونرسم حولها حقلاً ودارْ

حقلاً ودار

ونُطار القططَ الهزيلةَ فى الأزقّة بالحجار

وإلى « الحبيبة» كان يدفعنا ، ويدفعنا الحنين
فى بيتها نقضى أماسينا الطويلةَ حالمينْ
كما لخفقِ نعالها الفضىّ ، نُصغى ساهمين
بعد المساء ، وبعد حين
وتثور أحقادُ السنين
فنعود ، نبحث فى بقايا الذكريات عن الحياة
الأمس مات
الأمس مات
لم يبق حول « مدينة الأطفال » إِلا ما نشاءْ
إِلا السماء
جوفاء ، فارعة ، تحجّر فى مآقيها الدخانْ
إِلا بقايا السور والشحاذ يستجدى ، وأقدام الزمانْ
إِلا العجائز فى الدروب الموحشات
يسألن عنّا الغاديات ، الرائحات
ولربما مّرتْ بهّن . . . بهّن هذى الذكريات :
«السور» و«الشحاذ» و«الطفل الذى بالأمس ماتْ»

*

٢٣- تمت اللعبة

تمت اللعبة ، لا جدوى

وها نحن انتهينا !

لا تقولى ! « معكَ الحبّ »

متى كان . . . ! وأينا ؟

لا تقولى : « حظنا شاء » وداعاً ! فإلينا

ينظر (البيذق) فى خوف و (صمتى) و(انتهينا)

دمية ألقى بها طفل ، بعيداً عن يدينا

قدر كان وراء الغيب ، يلهو بانطلاقى

آه لو حطمت مصباح الهوى ، قبل احتراقى

وافترقنا قبل أن يخبو اللظى ، قبل العناق

ليت لا كان التلاقى !

أى جدوى من حياتى ؟

والجماد البارد الغمور لم يحفل بذاتى

أى جدوى من حياتى ؟

و (انتهينا) دفنت أشلاءها فى أغنياتى

وغداً يفتتح اللعبة عشاق سوانا

فيرون البيذق الخائف لا كان هوانا

عبثاً تبكين يا بلهاء ما ليس لدينا

تمت اللعبة ، لا جدوى

وها نحن انتهينا

*

٢٤- فى المنفى

المسجد المهجور ، والليل الموشّح بالنجومْ
تتثاءب الأشباح فى أبعاده ، ويحوم بومْ
طلل وبومْ
ولهيب تنّور ، تراقص فى وجومْ
- ماذا ترومْ ؟
منى ومن طللى سدومْ !
الشوك يُورق كالصنوبر والكرومْ
إن باركته يد رؤومْ
-- ماذا ترومْ
نعشى ستحمله الرياح مع الغيومْ
عبر القفار ، مع الغيومْ
وأنا وأحلامى الكسيحة والنجومْ
الشوك والأموات والطّلل المصدع والنجومْ

نبكي ونضحك ثم يدركنا النهارْ

فلنوذ في ظل الجدارْ

عبثاً نحاول - أيها الموتى - الفرارْ

البوم تنعب والدروب الموحشاتْ

على انتظارْ

نبقى هنا ؟ يا للدمارْ !

البوم تنعب في احتقارْ

بالأمس كان لنا علي القدر انتصارْ

كان انتصارْ

واليوم نخجل أن يرانا الليل في ظل الجدارْ

هذى القفار ، بلا قرارْ

الليل في أودائها الجرداء ، يفترش النهارْ

نبقى هنا .. ؟ يا للدمارْ !

عبثا نحاول - أيها الموتى - الفرارْ

من مخلب الوحش العنيدْ

من وحشة المنفى البعيدْ

الصخرة الصماء ، للوادى ، يدحرجها العبيدْ

(سيزيف) يُبعثُ من جديدٍ ، من جديدْ

فى صورة المنفى الشريدْ

– ماذا تريدْ ؟

« القمح من طاحونة الأسياد يسرقه العبيدْ »

– ماذا تريد ؟

« الورد لا ينمو مع الدّم والحديدْ »

طلل وبيدْ

تقضى بقية عمرك المنكود فيها تستعيدْ

حلماً لماضٍ لن يعودْ !

حلم العهود الذابلات مع الورودْ

كانت حياتك من جليدْ

ولتبقَ – رغم أشعة الحب المذيبة – من جليدْ !

فى وحشة المنفى البعيدْ

فى وحشة المنفى البعيدْ

*

٢٥- مذكرات رجل مجهول

٨ نيسان

أنا عامل ، أدعى « سعيدْ »

من الجنوبْ

أبوايَ ماتا فى طريقهما إِلى قبر الحسين

وكان عمرى آنذاكْ

سنتين - ما أقسى الحياة

وأبشع الليل الطويلْ

والموت فى الريف العراقى الحزينْ

وكان جدى لا يزالْ

كالوكب الخاوى ، على قيد الحياة

١٣ مايس

أعرفت معنى أن تكونْ ؟

متسولاً ، عريان ، فى أرجاء عالمنا الكبيرْ !

وذقت طعم اليتم مثلى والضياعْ ؟

أعرفت معنى أن تكونْ ؟

لصاً تطارده الظلالْ

والخوف عبر مقابر الريف الحزين !

١٦ حزيران

إنى لأخجل أن أعرّى ، هكذا بؤسى ، أمام الآخرينْ

وأن أرى متسوّلاً ، عريان ، فى أرجاء عالمنا الكبيرْ

وأن أمرّغ ذكرياتى فى التراب

فنحن ، يا مولاىَ ، قوم طيبونْ

بسطاء ، يمنعنا الحياء من الوقوفْ

أبداً على أبواب قصرك جائعينْ

١٣ تموز

ومات جدى ، كالغراب ، مع الخريفْ

كالجرذ ، كالصرصور ، مات مع الخريفْ
فدفنته فى ظل نخلتنا وباركت الحياة
فنحن ، يا مولاىَ ، نحن الكادحين
ننسى ، كما تنسى بأنك دودة فى حقل عالمنا الكبيرْ

١٥ آب

وهجرت قريتنا ، وأمى الأرض تحلم بالربيع
ومدافع الحرب الأخيرة ، لم تزل تعوى ، هناكْ
ككلاب صيدك لم تزل مولاىَ تعوى فى الصقيعْ
وكان عمرى آنذاكْ
عشرين عامْ
ومدافع الحرب الأخيرة لم تزل .. عشرين عامْ
مولاىَ ... ا تعوى فى الصقيع

٢٩ أيلول

مارلت خادمك المطيعْ
لكنه علم الكتابْ

وما يُثير برأس أمثالى من الهَوَس الغريبْ

ويقظة العملاق فى جسدى الكئيبْ

وشعورىَ الطاغى ، بأنى فى يديكَ ذبابة تَدْمى ، ،

وأنك عنكبوتْ

وعصرنا الذهبى ، عصر الكادحينْ

عصر المصانع والحقولْ

ما زال يُغرينى ، بقتلك أيها القرد الخليعْ

٣٠ تشرين الأول

مولاىَ ! أمثالى من البسطاء لا يتمردون

لأنهم لا يعملونْ

بأن أمثالى لهم حق الحياة

وحق تقرير المصيرْ

وأن فى أطراف كوكبنا الحزينْ

تسيل أنهار الدماءْ

من أجل إنسان الغد الآتى السعيدْ

من أجلنا ، مولایَ ، أنهار الدماء
تسيل فی أطراف كوكبنا الحزين

١٩ تشرين الثانی

الليل فی بغداد ، والدم والظلالْ
أبداً تطاردنی كأنی لا أزالْ
ظمآن عبر مقابر الريف البعيدْ
وكأن إِنسان الغد الآتی السعيدْ
إِنسان عالمنا الجديدْ
مولایَ ! يُولد فی المصانع والحقولْ

*

٢٦- الأمير السعيد

... وأدرك الصباح ، شهر زادْ

فسكتت وعادْ

إلىَّ نفس الحزن ، والشعور بالضياع

وأنت فى حديقتى تسيرْ

يا سيدى الأمير !

منفرداً ، سعيد

تحلم بالأميرة الصغيرة الحسناء

فى قصرها الوردى ، فى أرجوحه الضياء

وهْى تغنى أغنيات الهجر واللقاء

يا فارس الضبابْ

عرِّج على قصرى فى السحاب

إنى هنا ، وحيدة ، فى الباب

من زهر الليمون واللبلاب

ضفرت إكليلاً لك ، الغداة
أموت يا فارسى الصغيرْ
إن لم تعد إلىَّ ، يا فراشة تطير
فى حلمى يا حبى الأخير
وأنت لا تغدو ولا تروحْ
كأنك التمثال ، لا تبوح
بما وراء الصمت من آفاقْ
يخاف من مجهولها العشاق

*

وهكذا ؛ يا أيها الأمير
يحترق القلب ، ولا يبقى سوى الرمادْ
وأدرك الصباح شهر زاد
فسكتت وعاد
إلىَّ نفس الحزن ، والشعور بالضياع
وأنت فى حديقتى تسيرْ
تحلم بالنافورة البيضاء

وبالعصافير وبالغدير

فى ليلة مقمرة خضراء

ولا ترى وجهى الذى شوهه البكاء

وقلبى الكسيرْ

يسألك الرحمة والغفران

لأننى أحببت - والله على غرامنا شهيد

والأرض والإنسان -

وصيفة الأميرة الحسناء

*

حكايتى ، يا أيها الصغار

تمتْ ، وفى ليلتنا المقبلة القمراء

أروى لكم حكاية أخرى عن الصياد والعنقاء

❁ ❁ ❁

٢٧- مدينتى والغجر

مدينتى استباحها الغجرْ

مدينتى أهلكها الضجر

مدينتى ، القمر

يخاف من بيوتها المنفوخة البطون

يخاف من عيون

حاكمها الشريرْ

الميت الضمير

لكنه يحب فى أحيائها الفقيرة السوداء

صبية عمياء !

*

مدينتى الحزينة الصماء

تخاف من حاكمها الشريرْ

الميت الضمير

لكنما القمر

يحب فى أحيائها الفقيرة السوداء

صبية عمياء

تؤمن بالفجر وبالإِنسان

وترفض الإِحسان

من عاشقٍ فقير

*

٢٨- رسالة حب إلى زوجتى

عيناكِ من منفى إِلى منفى تصبان الحريقْ

يا أخت روحى ، فى عيونى ، فى فضاء

صحراء حبى ، فى عميقْ

جرحى ، الحريق

يا أخت روحى ، يا غرامى ، يا نداء

شعبى وأحلامى وبيتى ، يا عبيرْ

غابات (كردستان) فى فجر مطير

عيناك قنديلان من ذهب ونار

حمامتى ! ذهب ونار

وجلنار

يتوهجان ، الليل ، فى منفاى

فى خضر الدروب

وفى ينابيع الجبال

وفى سهوب

وطنى البعيد

حيث الربيع يموت محترق الشفاه

عريان ، والأطفال فى أوراده يتدثرون

والخبز يُغمس بالدموع

وحيث آلاف الجباه

للشمس ترفع فى تحد وانتصار

حمامتى ، يا أم طفلى ، فى انتصار

*

وإليك غنيت الضحى والليل والغد والربيع

وهتفت : يا وطنى

لعينيها أجوع

ولعين شعبى العامل ، الفلاح ، منتصراً أموت

بيروت - ١٠ آذار ١٩٥٥

*

٢٩- الأرض الطيبة

وفى قريتى ، كان أطفالنا

يغنون للأرض غبّ المطر

وكان الربيع يهز الحياة

بساعده فى دروب القمر

*

أيا قطرة من عبير

ويا وتراً من حرير

على سفح «حمرين» يا فتنتى[١]

ومعبودتى !

ليالى الشتاء الحزين

وصيحات أطفالك الشاحبين

وراء السحاب

(١) حمرين : من جبال شمال العراق .

حفاة ، عراة

تذكرنى بعهود السراب

بعين أبى المطفأة

بطيف امرأة

مجللة بالسواد

وراء حقول الرماد

تذكرنى بسيول الجياع

وهم ينبشون التراب

تذكرنى بالمطر

يثير الفرح

مع الفجر ، فى غابه السنديان

فترقص أكواخنا فى الضباب

ويرقص حتى الحجر

لوقع المطر

مع الفجر ، فى غابه السنديان

*

وفى قريتى ، كان أطفالنا

يغنون للأرض غبّ المطر

وكان الربيع يهز الحياة

بساعده فى دروب القمر

*

٣٠- الموت فى الظهيرة

إلى العربى بن مهيدى الزعيم الوطنى الجزائرى الذى قتله البرابرة الفرنسيون فى زنزانته فى السجن

قمرٌ أسودُ فى نافذة السجن ، وليلُ
وحمامات وقرآن وطفلُ
أخضر العينين يتلو
سورة «النصر» وفلٌّ
من حقول النور ، من أفق جديدِ
قطفته يد قديس شهيد
يد قديس وثائر
ولدته فى ليالى بعثها شمس الجزائر
ولدته الريح والأرض وأشواق الطفولة
وعذابات ربيع فى خميلة
وانتصارات وحمّى وبطولة

وحمامات وقرآن وليل

صامت يسمح عن كفّيه آثار الجريمة

قمر أسودُ

آثار الجريمة

وعلى الجدران ظل

يتدلى رأسه ، يسقط ثلج

فوقه عينيه وترب ،وجنادل

فوق عينى ذلك الطفل المناضل

*

كان فى نافذة السجن مع العصفور يحلم

كان مثلى يتألـم

كان سراً مغلقاً لا يتكلم

كان يعلم :

أنه لابد هالك

وستبقى بعده الشمس هنالك

فى ليالى بعثها شمس الجزائر

تلد الثائر فى أعقاب ثائر

٣١- العاصفة

لن تقتلونى أيها الأوغاد

لن تحرمونى

من ضياء الشمس

والإِنشاد

لن تنصبوا الأعواد

للحب ، للشاعر ، للأوراد

لن تستبيحوا قصر أحلامى

ولن تخوفوا الأطفال بالأصفاد

لن تسرقوا خزائن الفنِ

ولن تستعبدوا بغداد

لن تجدوا

يا أيها الفاشست

فى انتظاركم

إِلا طبول الموت والرماد

مدينتي

تفتح للشمس ذراعيها

فعودوا !

أيها الأوغاد

بغداد - ١٩ - ٥ - ١٩٥٩

*

٣٢- فارس الحزن

عاد من عالمه الموحش مقروراً

إلى وحشة سجنى

للصوص الشعر

للموتى ، يغنّى

للسكارى

آه يا برد الصحارى

لا تدعنى

للماليك أُغنى

آه يا قيثارة الثلج

ويا فارس حزنى

لا تدعنى

مثل عصفور على الأبواب أهرم

مثل ينبوع مسمَّم

مثل منجَم

أنا من أعماق سجنى

أُوقظُ الإِنسان فى قلبك

يا فارس حزنى

أُوقظ الحبَّ

الذى داسته أقدامُ الغزاةِ

أُشعلُ النيران فى ليل حياتى

آه باركْ كلماتى

لا تدعنى

مثل شحاذ على الأبواب فى الليل أغنى

لا تدعنى فى الصقيع

تأكل الديدان والبرد ربيعى

إِنه الإِنسان فى منتصف الليل يغنى

إِنه صوتك يدعونى

أيا فارسى حزنى

القاهرة ١٩٥٧/٨/٧

٣٣- كلمات لا تموت

كلماتى

لن تهرم

كلماتى

لن تهزم

كلماتى

لن تصدأ

كلماتى فى المرفأ

تنتظر الإِبحار

يا قلق الأسفار

هبنى قيثارة

هبنى نوّارة

فأنا أنتظر المد لأرحل

يا منديلاً

بالدمع مبلل

وأنا أبصر

وسمائي تمطر

عبر الظلمات

أحزان الفقراء

وهمو يبكون

تحت الشرفات

فى المدن المقهورة

فى المدن المقرورة

يا قلق الأسفار

كلماتى

أزهار

لن تذبل

فلنرحل !

فسيأتى شاعر

من بعدى

في باقة وردٍ

في مشعل

يقتحم الأسوارا

ويضيء الأنوارا

وسيصنع من كلماتي

من حبر دواتي

مدناً وحدائق

ونجوماً ومطارق

دمشق – ٢٥ – ٢ – ١٩٥٨

*

٣٤- أغنية المحكوم بالحب

كان يدمدم

إِفتح يا سمسم !

إِفتح لى قلبك

وامنحنى حبك

فأنا جائع

وأنا ضائع

فى برد الطرقات

فى ليل الأموات

صدرى بركان خامد

ولسانى حجر هامد

فافتح لى قلبك

وامنحنى حبك

يا شمس الفقراء

*

عصفور من نار

أيقظنى

طار

عبر الأسوار

ستالينو - ١٥ - ١ - ١٩٦٠

*

٣٥- الغراب

ما لى أراكَ تُقلّب الصفحات

ملتهب الجبين

عيناك غارقتان فى صحراء آبار الحروف

وفى عيون الميتين

حبرُ الوصايا العشر جفّ

محا اليقين

حرفُ غرابٌ ، ظل ينعب فى الجرائدِ

فى بيوت الضائعين

ويقضُّ فى ليل المدينة مضجع الصمت الحزين

هُمْ يا صديقى

أطعموهُ لحومهم متطوِّعين

صبغوا به الجدرانَ

ناموا حوله متثلّجين

طافوا به الدنيا على أقدامهم متسولين

بنعيبهِ الدامى بنوا أبراج بابل

واستباحوا الكادحين

سرقوا الملوك المفلسين

مسخوا شعارات الرجال الطّيبين

وقفوا على بوابة الليل الطويل مهوّمين

نطحوا الحوائطَ

سودوا الصفحاتِ

عادوا خائبين

خاروا مع الثيران فى الأرض الخراب مكبّلين

نهبوا ربيع الآخرين

جمعوا الطوابع والكلابَ

وزيفوا صيحات فجر المتعبين

وطبّلوا للتافهين

أنا لا أخاف الموتَ

لكنى أخاف الموت بالمجان

باسم غرابهم هذا اللعين

موسكو - ٢٠ - ٩ - ١٩٦٢

٣٦- لماذا نحن فى المنفى ؟

«اللاجئون يسألون»

لماذا نحن فى صمتٍ

نموتُ

وكان لى بيتى

وكانت لى

وها أنتِ

بلا قلبٍ ، بلا صوت

تنوحين ، وها أنت

لماذا نحن فى المنفى

نموتُ

نموت فى صمتٍ

لماذا نحن لا نبكى

على النار ،

على الشوكِ

مشينا

ومشى شعبى

لماذا نحن يا ربى

بلا وطنٍ ، بلا حبٍّ

نموتُ

نموتُ فى رعبٍ

لماذا نحن فى المنفى

لماذا نحن يا ربى ؟

موسكو - ٢٠ - ٥ - ١٩٦٠

*

٣٧- إلى جواد سليم

-١-

النار فى الرماد

والموت فى بغداد

ونشوة اللون وحزن الصمت والأبعاد

والقلق اللاهث والحمى التى تقصف فى ربيعها

الأوراد

تشعل فى الخطوط والألوان والسواد

حرائق الليل التى لا تنطفى

حرائق الأعياد

كانت ربيعاً أسوداً

طفولة ضائعة الميلاد

لم تُطق الرقاد

توهجت عبر جدار المستحيل

وغد الحصاد

مَنْ أطفأ الشموعَ

مَنْ مزّق فى سكينُه الفؤاد

مَنْ خبأ البذور فى الصقيعِ

والدموعَ فى قبعة الحداد

الشاهد القابع فى الظل

تدلى رأسه

وماد

-٢-

النهرُ

نهر الموت ضلّ دربَه

وابتعلته ظلمة الغابات

الشمسُ

شمس الليل عبر حائط الأموات

تشرق فى الواحاتِ

واللوحات

يا نخلةً صامدةً فى غمرة المأساة

والملحِ والعُقم الذى يصنع فى صحرائنا العاهات

يا ساحل الآهات

الشاهد القابع فى الظل

تدلى رأسه

ومات

-٣-

الموتُ فى الميلادِ

والخريف فى الربيع

والماء فى السرابِ

والبذور فى الصقيع

-٤-

الكلمات نزفت دماً على الكتاب

توهجت وانطفأتْ

وغابْ...

حضورها - الكلمات مطهر العذاب -

تكدست

وأنت فى الضباب

تفتح للشمس طريقاً

تفتح الأبواب

يا إخوتى ادخلوا ، قميصُ الليل ، مبتلٌ ويا أحباب

حرائق الشباب فى زماننا البخيل هذا

تصنع العجاب

موسكو - ١٩٦٢

*

٣٨- المغنّى والقمر

-١-

رأيته يلعب بالقلوب والياقوت

-٢-

رأيته يموت

-٣-

قميصهُ ملطخٌ بالتوت

وخنجرُ فى قلبهِ

وخيط عنكبوت

يلتفّ حول نايهِ المحطم الصموت

وقمرٌ أخضر فى عيونهِ

يغيب عبر شرفات الليل والبيوت

وهو على قارعة الطريق فى سكينةٍ يموت

موسكو - ٢٦ - ١ - ١٩٦١

٣٩- الصحف الصفراء

الصحف الصفراء فى زماننا

توزِّع الألقابْ

تلثم أيدى القاتلينَ

تمسح الأعتاب

تمنح أشباه الرجال العور والأذناب

صكوكَ غفران بلا حساب

تطلق غربان الحروف السودِ

تحثو أوجه القرّاء بالتراب

يطنّ فى سطورها البليدة الذباب

تنبح فى أنهارها الكلاب

أبطالها مزيفو النقود والتاريخ والأفكار

ولاعبو الحبال والمهرجون كاتمو الأسرار

وجوقة الأوغاد والأشرار

رأيتهم فى كل أرض حبلت بالرعد والأمطار

تحت نعال الكادحين ويد الثوار

منكّسى الراياتِ

فى عيونهم مذلة وعار

ينتظرونَ

أن ماء البحرِ لن يغسل هذا العار

*

٤٠- النبوءة

قلتُ لكم - لكنكم أشحتمُ الوجوه
عالمكم مزيفُ وحبكم مشبوه
يا أيها الأبواق ، يا بهائماً فى السوق
قلت لكم عليقكم مسروق
لكنكم نفختُمُ فى البوق
قلتُ لكم
أحس فى الهواء
رائحةَ الطوفان والوباء
لكنكم شهرتُمُ السيوف فى وجّهى
وأسرجتم خيول الصلف العرجاء
نفختُم أوداجكم
يا أيها الضفادع العمياء
شربتُمُ البحار

وانحسر التيار

سرقتُمُ كنوزىَ المخبوءة

لكنكم لم تسمعوا بقية النبوءة

وها أنا فى السوق

أضربُ فى السياط ، حافى القدمينِ

عارياً مشنوق

١٩٦٣

*

٤١- إلى عبد الناصر الإنسان

آيا جيل الهزيمة .. هذه الثورة

ستمحو عاركم وتزحزح الصخرة

وتنزع عنكم القشرة

وتفتح فى قفار حياتكم زهرة

وتنبت ، أيها الجوف الصغار ، برأسكم فكرة

سيغسل برقها هذى الوجه وهذه النظرة

ستصبح هذه الحسرة

جسوراً وقناديل

زهوراً ومناديل

ويصبح باطل الحزن أباطيل

وتزهر فى فم الشعب المواويل

ستهوى تحت أقدامك ، يا جيلى ، التماثيل

وتسقط عن رؤوس السادة التيجان

كأوراق الخريف ستسقط التيجان

وتجرفها رياح الكادحين لهوّة النسيان

فهذا البرق لا يكذب

وهذا النهر لا ينضب

وهذا الثائر الإنسان عبر سنابل القمح

يهز سلاسل الريح

مع المطر

مع التاريخ والقدر

ويفتح للربيع الباب

فيا شعراءَ فجر الثورة المنجاب

قصائدكم له ، لتكن بلا حُجّاب

فهذا المارد الثائر إنسان

يزحزح صخرة التاريخ ، يوقد شمعة فى الليل للإنسان

القاهرة : ١٠-٣-١٩٦٥

*

٤٢- حسرة فى بغداد

أبحثُ عن سحابة

خضراء ، عنى تمسح الكآبة

تحملنى

إلى برارى وطنى

إلى حقول السوسنِ

تمنحنى

فراشةً ونجمة

وقطرةً بها أبل ظمأى وكِلْمَة

فماءُ دجلةَ الحزين اعتكرا

وما جرى

إلا ليُغرق السدودَ والقرى

فمن ترى ؟

بمائة يغلسنى

تحت ظلال نخلة يدفننى

ببيت شعرٍ بعد ألفِ سنة ينشدنى

فوطنى بعيدْ

وبيننا هذى الليالى السودْ

والحبر والأوراقْ

وحائط الأشواق

معرةَ النعمان يا حديقة الذهبْ

الصيفُ جاء وذهبْ

وأنتِ تضحكين

لاهيةً ، بالرمل تلعبينْ

حطّ على شْرفتك الغرابْ

وارتحل الأحباب

تفرقوا قبائلْ

وجفَت الخمائل

وهاجرت مع الضحى العنادل

لم يبق إلى الموتُ فى الأطلال والهياكل

لم يبقَ إلا الشعرُ فى ذاكرة الأحقاب

وبعد ألف سنةٍ ستنضجُ الأعناب

وتُملأ الأكواب

ويُبعث المغنى

فآهِ ثم آهِ يا صبابتى وحزنى

*

٤٣- لزومية

حزن بلا صوت وقيثارةُ
أرهفها ، قبل الأوان ، الشقاءْ
فاحترقت أوتارها فى يدى
وكان لى بها ومنها وقاء
« آهِ غدا من عرقٍ نازلٍ
ومهجة مولعة بارتقاء
ثوبىَ محتاجٌ إلى غاسل
وليت قلبى مثله فى النقاء »
يا حافر البئر بأوجاعه
ومودعاً رحمته فى السقاء
وجاعلاً من كلماتى فماً
يصيح فى ليلٍ بلا أصدقاء
عمّق وعمّق فغداً ينتهى
عذابك الأسود بعد اللقاء
خبزك مسموم فَكُل ما اشتهتْ
نفسك ، ولتنعم بطول البقاء

٤٤- العودة من بابل
(من سيرة عمر الخيام)

- معجزة الإنسان أن يموت واقفاً ، وعيناه إلى النجوم

وأنفه مرفوع

إن مات أو أودت به حرائق الأعداء

وأن يضيء الليل وهو يتلقّ ضربات القدر الغشوم

وأن يكون سيِّد المصير

مولاىَ قال النجم لى ،وقال لى الغدير

من ههنا الإسكندر الكبير

مرّ على جواده منهزماً محموم

أيتها النجوم

بابل تحت خيمة الليل إلى الأبد

تعوى على أطلالها الذئاب

ويملأ التراب

عيونها الفارغة الحزينة

بابل تحت قدم الزمان

تنتظر البعث ، فيا عشتار

قومى ، املئى الجرار

وبلّلى شفاه هذا الأسد الجريح

وانتظرى مع الذئاب ونواح الريح

ولتُنزلى الأمطار

فى هذه الخرائب الكئيبة

– لكنما عشتار

ظلت على الجدار

مقطوعة اليدين ، يعلو وجهها التراب

والصمت والأعشاب

وحجراً أخرسَ فى الخرائب الكئيبة

– أيتها الحبيبة !

عودى إلى الأسطورة

سنبلةً ، شمساً بلا ظهيرة

امرأةً من الدخان ، جرّةً مكسورة

- تمّوز لن يعود للحياه

فآه ثم آه

بابل تحت قبة الليل ، بلا زاد ولا معاد

بلا حُنوط ، ترتدى عباءة الرماد

صحتُ على أطلالها : عشتار !

فصاحت الأحجار

عشتار ، يا عشتار ، يا عشتار !

تصدّع الجدار

وغاب فى الخرائب القمر

وانهمر المطر

*

٤٥- المدينة

وعندما تعرّت المدينة

رأيت فى عيونها الحزينة

مباذلَ الساسة واللصوص والبياذق

رأيت فى عيونها المشانق

تُنصب والسجون والمحارق

والحزن والضياع والدخان

رأيتُ فى عيونها الإنسان

يُلصق مثل طابع البريد

فى أيما شىءٍ

رأيتُ الدم والجريمة

وعلبَ الكبريت والقديد

رأيت فى عيونها الطفولة اليتيمة

ظائعة تبحث فى المزابل

عن عظمةٍ

عن قمر يموتُ

فوق جثث المنازل

رأيت إنسان الغد المعروض فى واجهة المخازن

وقطع النقود والمداخن

مُجللاً بالحزن والسواد

مكبلاً يبصق فى عيونه الشرطىُّ

واللوطىُّ

والقوّاد

رأيت فى عيونها الحزينة

حدائق الرماد

غارقةً فى الظل والسكينة

*

وعندما غطى المساءُ عُريَها

وخيّم الصمتُ على بيوتها العمياء

تأوهت

وابتسمت رغم شحوب الداء

وأشرقت عيونها السوداء بالطيبه والصفاء

*

٤٦- قمر الطفولة

قمر الدموع على هضاب الليل غاب

والطفل والعصفور والخيط الذى ينسل من بابٍ لباب

يتلف حول مدينتى

حول الرقاب

وطنى يكلل رأسه تاجُ العذاب

والشوك والدم والضباب

قمر الطفولة فى التراب

عريان تنهش لحمه

عريان تأكله الكلاب

أواه يا وطنى

ويا طفلاً تمزقه الحراب

يا زورقاً يهتز فى ريح المغيب

ويا مناديل الغياب

إني أرى عبر المذابح والخراب

قاعَ البحيرة والسنابل والربيع على الهضاب

وأرى الذئاب على طريق الشمس تفترس الذئاب

وأرى المسوخَ يُذيبها الفجر العظيمُ

أرى قناديل الشباب

وأراكِ يا بغداد شامخة القباب

وأراكَ يا قمر الطفولة مشرقاً في كل باب

*

٤٧- إلى شهيد آخر

غداً إذا غرد فى بستاننا عصفور

وفَّتحت زنبقة أجفانها للنور

وسالت العطور

على قبور شهداء الوطن المقهور

سنلتقى على تخوم العالم المسحور

سنعبر الجسور

معاً نغنى

وإلى بلادنا نطير

فى فجر يوم أزرق مطير

معاً سنصطاد الفراشات

معاً سنقطف الزهور

غداً إذا غرد فى بستاننا عصفور

واندك هذا السور

*

٤٨- كلمات إلى الحجر

١ – المستحيل

يأتى مع الفجر ولا يأتى

حبى الذى أغرق فى الصمت

يحوم حول السور مستجدياً

تنهشه مخالب الموتِ

حتى إذا ما اليأس أودى به

صاح من الأعماق يا أنتِ

سفينةُ الأقدار لم تنتظرْ

وسندبادُ الريح لم يأتِ

من أين أقبلتِ ؟ وآبارنا

مسمومةٌ من أين أقبلتِ ؟

لعلنى كنت على موعدٍ

من قبل أن أُولد أو كنتِ

الحب أعمى وأنا ههنا

أكتب فوق الماء ما قُلْتِ

ربيعنا أقبلَ من رحلة الـ . . .

. . . ضياع والأحزانِ والمقتِ

تسبحُ بالنور فراشاتُه

فلتفتحى الأبوابَ يا أُختِ

حبيْبتى من قبل أن تُولدى

أحببتُ عينيكِ

فَمَنْ أنتِ ؟

*

٤٩- الأميرة والغجرى

-١-

أدخل فى عينيك

تخرجين من فمى

على جبينك الناصع أستيقظ

فى دمى تنامين على سرير أمطار صحارى التتر الحمراء

مجنوناً أناديك بكل صرخات العالم الوحشية السوداء واللغات

كل وجع العاشق فى قاع جحيم المدن

العاشق والولي والشهيد

فى دمى تنامين

أنا أدخل فى عينيك

أهوى ميتاً فوق سرير النار

أستلقى على صدرك فى الحلم

تنامين على الأهداب

مجنوناً أناديك

على صدرك أستلقى

على صياح ديك الفجر فى مملكة الله وفى مملكة السحر وفى

أصقاعها أواصل الرحيل

-٢-

مهاجراً يموت

حبى علّى أسوار هذا اللهب الكامن فى عينيكِ

فى صمتك ، فى صوتك ، فى جبينك

الممتقع المسحور

-٣-

حبى أغنيةٌ كتبتها ساحرةٌ فوق معابد عشتار

فى فجر الإنسان الأول قبل الألف الثالث من آذار

بعد الطوفان وقبل النّفى إلى الصحراء

-٤-

من صحراء التتر الحمراء

من باريس إلى صنعاء

كانت عربات الغجر السعداء

تمضى حاملةً مولاتى وأنا خلف العربات

عطشى يقتلنى ، جوعى ، فأضم غزالة

شمس الواحات

وأضم العالم فى كلمات

-٥-

مجنوناً كنت أنادى باسمك كل الأسماء

كل المعبودات وكل زهور الغابات وكل الربات

كل نساء العالم فى كتب التاريخ وفى كل اللوحات

كل حبيبات الشعراء

مجنوناً كنتُ أنادى الله

-٦-

أعود من مملكة الله ومن مملكة السحر على أجنحة النهار

مجنوناً أناديك

بكل صرخات العالم الوحشية السوداء واللغات

كل وجع الأرض إلى الأمطار والشموس فى ليل شتاء مدن

العالم

مجنوناً أناديك

وفى بيروتَ أو بغداد أو باريس

عن عينيك عن وجهك في قصائد الشعر وفى واجهة المخازن

الخضراء

فى شواطىء البحار والغابات

عن عينيك عن وجهك فى اللوحات والرسوم

مجنوناً أناديك

على جبينك الناصع أستيقظ فى منتصف النهار

أستلقى على صدرك

فى أصقاع عينيك

وفى سمائها أواصل الرحيل

-٧-

حبى أكبر منى

من هذا العالم

فالعشاق الفقراء

نصبونى ملكاً للرؤيا

وإماماً للغربة والمنفى

-٨-

باسمك ، مجنوناً ، كنت أنادى الله

*

٥٠- إليها

-١-

عشقتك فى المنفى وأنت صبيةٌ

وكان هوانا فى الجوانح يكبرُ

فلما التقينا بعد نأيٍ وغربةٍ

رجعنا إلى أرض الطفولة نبحر

كأنا وُلدنا من جديدٍ بكوكبٍ

هو الوطن الموعود أو هو أبعدْ

أقول لعينيك اللتين تلاقتا

بعينى أكان الأمس مرّ أو الغدُ

لقد أقبلت كل العصور وكل ما

هفوت له يوماً وما كنت أضمر

بخضرة عينيك السماء تلونت

وباحت بما تُخفى الطبيعةُ أنهرُ

وقـال مغنيـهـا هو الحب فـاحتـرق

فنارك بعـد اليـوم هيـهـات تخـمـد

-٢-

حلفتُ بالمعابد المكسوة القباب بالذهب

بالحروف والغربة والسفر

أن أرحل الليلة نحو مدن الحلم

وأبنى لك أهراماً علي الفراتِ

فى نار عصور البعث والثورة والأمل

-٣-

العشاق الصغار

يمحون أسماء حبيباتهم ويبقون على أسم الأخيرة منهن فقط

أما أنا فلقد أبقيت عليهن ليخدمنك

وإذا أمرت فسأطردهن فى الحال

-٤-

حتمى أمرى الحرف

قدرى ، نارى الحرف

وطنى ، منفاىَ ، نورى الحرف

فلتقتبس الحرف ، كما تقتبس النار من النار

أنت السيد والمولى

وأنا بك أولى

فإذا أرسلتك تنظر فى أمر الحرف

فلتُخرج ألفاً من باء

باءً من باء

ألفاً من ألف

مولاتى خامرها الخوف

فإذا جاء الليل

فلتفتح أبواب القلب

ولُتطلق عبدك من أسر الحرف

فأنا خادمُ مولاتى

عاشقها

تابعها

فى الوطن - المنفى

-٥-

قلبى هرم خوف الكبير

أراك تضطجعين فى مقصورته الملكية

ماسةً مشعةً منذ آلاف السنين

وأنا عبدك أقبل يدك

وأحرس كنوزك الإِلهيَّة

وأرعى الغزلان فى حدائق قصورك

الغارقة فى النور

-٦-

خيط الدم الذى ينزف من قلبى

يمتد من باريس إلى عتبة بيتك

-٧-

لقد عدت إلى الوطن

لكى أحبك

*

٥١- صورة جانبية
لعاشق الدب الأكبر

-١-

كان إذا ما عاد من أسفارِهِ

أراهُ تحت الثلج

فى الليلِ

يسيرُ

حاسر الرأس ، وحيداً

فإذا ناديتُهُ

أجاب فى ابتسامةٍ غامضةٍ

مختفياً فى الليل والريح

وفى داخله ، مواصلاً عذابه اليومىَ والرحيلْ

للبحث عن قارة حبٍ طُمرتْ

تحت نديف الثلج والعويلْ

منتفضاً على رصيف الشارع الأبيض فى معطفه الطويل

كأن ألفَ سنةٍ مرت عليه وهو فى داخلهِ

محترقاً يرحل أو يعود
منتظراً علامةً جديدة تظهر فى غياهب السماء
أو إشارة تلمع فى المجهولْ

-٢-

كان شهاباً دامياً
يعود من أسفاره محترقاً مقرورْ

-٣-

كان إذا ما عاد : لا أعرف من أين أتى
وأين كان ذلك المسحورْ

-٤-

كنتُ أراهُ
فإذا ناديته ، أجاب فى ابتسامةٍ غامضةٍ
مختفياً فى النور والديجورْ

❁ ❁ ❁

٥٢- قداس جنائزى إلى نيويورك

-١-

وحش حجرىٌ يتــربع فوق الفولاذ المسنــون ، بعين واحدة
يرنو لليل المثقوب بطلقات رصاص ، ينفث فى وجه الفجر
دخانا ، ينشب فى لحم الساعات مخالبه ، يتمطى فوق رغاء
الأصــوات المســحــوقة ، تغلى فى داخــله أوساخ الطوفــان
البشــرى المهــزوم ، بعين أعــماها النور يحــدق فى طقس
الروتين اليومى، وجدول أعمال النمل ، وفوق قنانى الخمر
الفارغة السوداءْ
يتناوم سكرانْ
تملؤه أحلام اليقظة ، منتفخا ، جوعان .

-٢-

كانت فى صندوق قمامة ليلة تثقبه صيحات الأطفال

تبحث عن حكماء اليونان السبعة أونجم الميلاد

«اقتربى منّى ! » قال لها ، مكسور القلب ونام

-٣-

موسيقى تعلن عن «عامورة» فى القرن العشرين

و«سادومْ»

المجهول المعلوم

للأجساد البشرية فى علب الليل المهزوم

-٤-

فى FIFTH AVENUE ينطفىء النور

-٥-

TELL ME WHAT WASTHAT ?

-٦-

فى نقطة ضوء « والت ويتمنْ »

يبحث عن أمريكا فى أمريكا . . .

من يبكى بين مخالب هذا الوحش الضارى ، مَنْ ؟

-٧-

الأبيض والأسودْ

الأحمر والأصفر

طفح جلدي ودمامل فوق جبين الوجع الأكبر

-٨-

جنرالات وملوك مأجورونْ

من كل القارات ، برسم البيع ، هنا ، فى أفلام

الجنس الممنوع وفى إعلانات الصابون

-٩-

ادفع دولاراً ، تقتل إنساناً ، باسم القانون

-١٠-

لمغنى الشارع فى «هارلمْ»

وجهُ عجوزٍ ، خشبى ، محزور ، نائمْ

تحت رماد الصيف الزنجى الراحل

-١١-

سيدتى ، تبحث عنى ، وأنا أبحث عنها فى الطوفان

ضلّت قدمى فى أبراج الفولاذ المسنون وضاع العنوان

-١٢-

الحب دخان

-١٣-

تذرف دمعاً فسفورياً ، عين الوحش الرابض قرب البحر ،

يعدّ نقود الصرافين ويقرأُ طالعه فى سفر الرؤيا

إعصار دموى يطفو فوق الكرة الأرضية ، مصحوباً بالهزات

وبالرعد ، فيصبح هذا الليل نهاراً والأسود أبيض

والأصفر ، أحمر

والأبيض أسود

والأحمر أصفر ؛

وطيور من نار وحديد ، تستأصل هذا الوجع الأكبر

-١٤-

أرثى للطوفان البشرى المهزوم وكهان الهيكل

٩ - ٣ - ١٩٧٧

*

٥٣- العراء

-١-

يعوى فى داخله ذئب ، مفجـوعاً بأفول النجم القطبى وموت الفـجر على أرصـفـة المدن الأرضـيـة يطعن عـينيه الضـوء الخـابى فى نافـذة ، يسمع وقع خـطاها راحلة ، تذرو الريح كـرات الثلج النارية فى عـرى الشـارع . ها أنت وحـيـد ، مملوء بالغربة فى هذا العالم ، تخـرج ليلاً من باب الفجر ، لتبـحث عـمن فى النوم رأيت ، تحـاول أن تجـتـار الأفق وحيداً ، بكوابيس نهار مات تعود ، لتبدأ من حيث بدأت ، لتـرفع هذى الصخـرة نحو الـقمـة ، فى كل صبـاح تشنق نفسك ، لـكن العنقاء بنار الشـعر تعود لتنفـض عنك رماد الأشياء ، فحبك يبـقى الكنز المرصود ، وتبقى أنت بشوق ملّتهب ، منتظراً ، مسكوناً بالغربة ، تنزف منك الكلمات ، أميرا للمنفى ، يغتصب العالم بالكلماتْ .

-٢-

تتذوق طعم الفتح وحيداً ، تجتاز الأفق بنار الشعر الزرقاء
تتقمص روح الأجداد
تعبر نهرا بعد البحر ، وبحرا بعد الصحراء
سيفك ومض البرق ، وخيمتك الغابات العذراء

-٣-

ما بين الرهبة والرغبة
ترحل نحو الداخل ، مسكوناً بالغربة

-٤-

العالم منفى فى داخل منفى والناس رهائن
ينصب بعض منهم للبعض كمائن
في هذا الشبر من الأرض وفى ذاك الصقع الشاسع

-٥-

ما بين الواقع والأسطورهْ
يتحدى الإِنسان مصيره

-٦-

ما سيكون هو الكائن

-٧-

يطعن عينيه الضوء الخابى تحت الأعمدة الحمراء ، يقول

لها :

« حبيبى ! » فتجيب بحزن : «سأحبك حتى آخرِ يوم من عمرى»

لكن الصحراء

تزحف نحو الأعمدة الحمراء

فتغطيها ، وتغطى صيحات الريح المجنونة تحت الأنقاض

-٨-

ما بين استغلال الإِنسان

لأخيه الإِنسان

وحريق الكلمات

تولد فى رحم الأرض الثورات

-٩-

علماء الآثار اكتشفوا فى صحراء الحب قناع الفاتح فى
صندوق ذهبى وتعاويذ بخط كوفى بللها دمع وقناع امرأة من
عاج كُتبت فى أسفله بضعة أبيات من شعر ، كان البيت
الأول منها ممحوا ، ورماد حريق بالقرب من الوجه يشير بأن
لصوص الآثار انتهبوا شيئا ما ، كان الموت يحدق فى مرآة
صدئت فوق الحائط ويسرِّح شَعر السنوات الضوئية فى هذا
الركن المعزول من العالم ، ما بين الواقع والأسطورة ،
يرحل نحو الداخل ، مسكوناً بالغربة : هذا العصر الدامى ،
ها أنت أمام مجاعات التاريخ إلى الحب ، تعيد إلى الشعر
براءته وإلى لغة الرفض بكارتها خارج لعبة موروث الكتب
الصفراء ، تحاول أن تلوى أعناق الكلمات بقلب حطَّمه
البحث عن الحب الأعظم فى شارات عبور المدن الأرضية
بعد الطوفان وفى صيحات البشر المحرومين وفى سحر
عيون المعبودات

-١٠-

ها أنت تدقُّ على أبواب العصر الآتى بالكلمات

٥٤- الناي

الناي يبكي : إنها الغاباتُ ، تبحث ، سيدى ،

عن قوُتها فى باطن الأرض العميقْ

الناي يبكى : إنها ريحُ الخريفْ

الناي يبكي : إنها الأبراج داهمها الحريقْ

الناي : إنسانٌ يُقاومُ موته

موتَ الطبيعةِ والفصولْ

*

٥٥- الينابيع

سأموتُ حباً تحت خيمتهِا

أعود إلى الطفولةِ

راعياً غنمَ القبيلْةِ

مثلَ هرون الرشيدْ

ملكاً وسلطاناً

على أسراب مملكة القطا

وقبائل الأمطار في كل الفصولْ

ذهبي : ينابيعُ الحياةِ

وثروتي : قلقُ الوجودْ

*

٥٦- ورقة أخرى

قالتْ : سأشنقهُ

بِليل ضفائرى

مهما أَطَلْتُ الانتظارْ

وأعيدهُ حجراً على درب القوافلِ

سدرةً / شِيحاً وقيصوماً

وزهرةَ جلنارْ

قالت : سأغرس رمحَهُ المسمومَ

فى عينيهِ

حتى لا يرى ضوءَ النهارْ

وبكتْ وطال بها الوقوفُ على الطلول الباليات

واستنجدتْ بالساحرات

لتعيدَهُ حيّاً ،

ولكن الرياح السافيات

عفّت على آثار أقدام الطريدِ

وأدرك الليل النهار

٢٣ - ١١ - ١٩٨٧

*

٥٧- نهر المجرة

فى نهر مجرة هذا الكون الشعرىِّ

المسكون بروح الأسلافْ

كنا مثل فراخٍ لم تنبتْ ، بعدُ ، قوادمُها

نسبح ضد التيار

ونحاولُ ليلَ نهارْ

أن نصطاد الثور الأسطورىَّ

لنذبحه قرباناً لإله الشعر المتجلى

فى غبش الأسحار

كنا نتحدى

أزمنةً شاختْ وعصوراً تنهارْ

بصواعقَ من نار

كنا أطفالاً

لكنّا فى الحب كبار

١٩٨٦

٥٨- مترو باريس

أشباحٌ عددَ الرملْ

أنهكها المعنى واللا معنى فى حمى البحثْ

ودوارُ الرفضْ

بعضٌ منها ينزل أو يصعد من جوفِ الأرضْ

أملاً فى البعث

منها : مَنْ يبكى / يترنح / يضحكْ

يعوى مثل الذئبِ

ويُخفى بجريدته وجهاً متعبْ

وَيُوَدِعُ ضوءَ نهارٍ يرحلْ

يستبدل ذاكرة الأمس بأخرى

ويخاطب إنساناً مجهولاً فى الغيهبْ

مَنْ يهذى / يتضور جوعاً / يتأبطْ

كتباً لم تُقرأ

من يعزف لحناً / يشحذْ

يُلقى شعراً ويحلق فى المطلقْ

مَنْ يرجو شيئاً لا يتحققْ

وتظل الأشباح الأرضيةُ تنزل أو تصعدْ

فى النفق الأسود

١٩٨٦

*

٥٩- راقصة الدخان

راقصةٌ من بحر الصينْ

ترقص فى صندوقٍ خزفيٍ

تُغمضُ عينيها

تبكى

ممسكةً فى يدها عصفورْ

ترفعهُ قرباناً للنورْ

تقطف فى يدها الأخرى زهرةَ لوزٍ

تخفيها فى قاع الصندوق

تسقط مثل النجمةِ فى بحر الصينْ

تتلاشى مثل دخانٍ فى الريحْ

١٩٨٤

*

٦٠- إلى نجيب محفوظ

ثرثرةٌ فوق النيلْ ؟

أم وجعُ القلب الإنسانىِّ المخذولْ ؟

وهزيمة جيل ؟

أم نار أطفأها فى العوّامةِ

أمر يحتمل التأويلْ ؟

١٩٨٤

*

٦١- بغداد

مهما طال حوارُ الأبعادْ

فستبقى بغداد

شمساً تتوهجْ

نبعاً يتجددْ

ناراً أزليةْ

رؤيا كونية

لطفولة شاعرْ

١٩٨٤

*

٦٢- اللقالق

تحط الرحالَ بأعلى الكنائِس

أعلى المساجدِ

فوق القبابْ

تُجَمِّعُ عيدان أعشاشها

من هنا أو هناكْ

تبيض / تُفَرِّخُ / تفرد فى الريح أجنحةً

لتزق الفراخ

فإن ضوأت نجمةُ القطب فوق المدينةِ

ذارفةً نورها فى العراء

نما ريشها

واستطالت قوادمُها فى الهواءْ

تطير اللقالق عائدةً

لبلاد الضباب

مخلفةً صرخة فى أعالى السماء

٦٣- الوجه

وجهك فى المرآة : وجهانِ

فلا تكذبْ

فإن الله

يراك فى المرآةْ

*

٦٤- الرجل المجهول

رجل من بين غبار السنواتْ

طرق الباب

حيّانى ، قلت له : « أهلاً ! »

لكن الرجل المجهول ، قبالة ، بابى ، مات

١٩٨٥

*

٦٥- الحصار

إلى خليل حاوى فى ذكراه

محجوزةٌ : كل منافى الأرض والسجونْ

أقبية التعذيب والجنون

أقنعة المهرجينَ

وقنانى الخمر والسمومْ

مطاعم المدينة / الملاعق / الصحون

قصائد التفعيلة / العمود

محاكم التفتيش

تذاكر المسارح / الملاجىء / القبور

كينونة الحب / قباب النور

أضرحة الملوك

عواصم الخيانة / الاهوت

فأين يمضي شاعرٌ

نجا من الموتِ

لكي يموتْ

١٩٨٨

*

٦٦- حديث الحجر

حجرٌ ، قال لآخرْ :

لم أسعد بوجودى فى هذا السور العارى

فمكانى هو قصر السلطان

قال الآخر : يا هذا

محكوم بالموت عليكَ

سواء كنت هنا أم فى قصر السلطان

فغداً يُهدم هذا القصرُ

وهذا السورْ

بأمرٍ من حاشية السلطان

ليعيدوا اللعبة من أولها

ويعيدوا توزيع الأدوار

١٩٨٦-٥-٢٧

*

الفهـرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٠/١٠٣٥٢

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 01 - 6750 - 9



هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة».. ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافي كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافي الضخم حتى أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام. واستجبنا لهذا المطلب الجماهيري العزيز إيمانًا منا بأهمية الكتاب، وبالكلمة الجادة العميقة التي يحتويها، في إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها الحضاري العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة».. أن تعيد الروح إلى الكتاب مصدرًا هامًا وخالدًا للثقافة في زمن الإبهارات التكنولوجية المعاصرة.. وها نحن نحتفل ببدء العام السابع من عُمر هذه المكتبة التي أصدرت (١٧٠٠) عنوانًا في أكثر من «٣٠ مليون نسخة» تحتضنها الأسرة المصرية في عيونها وعقولها زادًا وتراثًا لا يبلى من أجل حياة أفضل لهذه الأمة.. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة في كل بيت.

سوزان مبارك

سعر النسخة

١٥٠ قرش

مكتبة الأسرة 2000

مهرجان القراءة للجميع

